رواية الغريب لألبيير كامي من منظور علم اجتماع النص

اهتم زيما بالرواية بشكل خاص، و انصبت أعماله حول روائيي الحداثة مثل بروست، كافكا و كامي ، و سارتر ، و قد حاول من خلالها استيعاب التحولات السيوسيوثقافية، و انعكاسها جماليا و لغويا في النص السردي ، و يسجل هنا أنه سعى إلى تطوير مفاهيم خاصة مفهوم البنية الدالة ، و رؤيا العالم.[1]

طرح سؤالا جوهرا يتمثل في كيف نصف وضعا اجتماعيا- لغويا؟ .و كانت الإجابة أنه ينبغي توضيح فقط الوضع الاجتماعي للغة كما عايشه الكاتب المعني ، و معارفه من الكتاب الذي انتقدهم ، أو دعهم. فقد تأثر كامو ببريتون ،و سارتر ، و سيمون دي بوفوار ، وفرنسيس يونج، فروایاته تنتقدهم و تحاكيهم ساخرة، و ليس المجال متاحا لدراسة عنصر لغوي بأكمله لأن هذا يصعب كثيرا .جميع القيم الفكرية المقموعة ، الأفكار الأخلاقية المنهزمة، دنس المال ، ما تعنيه كلمة وطن، عدالة واجب ، أصبح غريبا عنا .أصبحت معاني حق ،عدالة ، حرية معاني متناقضة ، هذا كله يعبر عن تدهور اللغة عبر الإيديولوجيا التي حكمت فيها قيم التبادل السوق و الإديولوجيا ، فعبرهما تحدث الثورات و الصراعات اللغوية.

يركز في تحليله لرواية الغريب على لغة الأربعينات ،و ليس اللغة عموما، لأن الرواية نشأت من الوضع الاجتماعي و اللغوي لتلك الحقبة .بين سارتر و يونغ تدهورت اللغة بفعل التسويق و الصراعات الإيديولوجية ، فبحثا عن لغة أخرى غير متواطئة مع الإيديولوجيا، يعبر من خلالها الفنان عن الطبيعة الصماء . ينبع هذا الفنان من الثورات الاجتماعية الجديدة، و الاكتشافات الإثنية الجديدة الحضارات الزنجية و البدائية ؛ بمعنى أنهما حاولا تخليص الخطاب من قوالبه الإيديولوجية الجاهزة. لقد انقادا معا نحو الشيوعية بدافع التمرد على شروط الحياة ،و لكنها كانت هي أيضا

---

[1]-**بيير زيما : النقد الاجتماعي نحوعلم اجتماع لنص الأدبي ، ترجمة عائدة لطفي ،مراجعة أمينة رشيد ، سيد بحراوي ،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة ، مصر ، ط1، 1991.ص45.**

مفلسة ،أو متحايلة إيديولوجيا، و هو ما ذهب إليه سارتر في الغثيان . إن اللغة التي كتب بها "سارتر" ،و "يونغ" ،و "كامو" هي لغة لامبالية بالمعنى، لغة متشيئة كلماتها ليست إلا أشياء و وحدات صوتية متعارضة " بمعنى أن المعنى الإيديولوجي أصبح مبتذلا، يجب التركيز على عبارات و جمل تشير إلى الازدواج القيمي الذي يجمع بين قيم دلالية و ثقافية متعارضة ، ينتهي إلى توليد لامبالاة (تساوي) القيم "[2].

و انتهى ألى أنه يوجد عند "كامو" اتجاهين متكامين و متعارضين هما: تدهور اللغة بفعل قوانين السوق و الإيديولوجيا. و اللامبالاة الناتجة عن هذا التدهور، و هو يستخدمها كأداة نقدية ضد معاني الخطابات الإيديولوجية .يشير مثلا إلى مجتمع التجار ، و إلى الخطاب الماركسي الذي حول الحرية إلى عبودية .

أ-لهجة جماعية خطاب و تناص :

يحاول هنا التعرف إلى اللهجة الجماعية التي تستوعبها الرواية، و تنتقدها على مستوى التناص على اعتبار أن اللهجة هي الرباط الجامع بين الرواية و بنياتها ، و بين الوضع الاجتماعي الغوي "[3].

تظهر في الغريب هذه اللهجة في خطاب المحامي العام ،و هي لهجة إنسانية مسيحية " يجب إذن فهم الإيديولوجية الإنسانية المسيحية للمحامي العام باعتبارها خطابا نابعا من لهجة جماعية خاصة"[4].

تأتي رواية الغريب نقدا للإنسانية المسيحية بفعل ازدواجية القيمة ،و اللامبالاة، و التناقضات التي ظهرت على اللغة و الثقافة ، و بفعل عدم اعتراف الثقافة الرسمية بأزمة القيم ، ، و من ثنائياتها التقييمية خطاب النائب مثلا مبني على بعض الثنائيات: (خير /شر) ، ((طهارة /خطيئة) ،(حب

---

[2]-المرجع نفسه ،ص215.

[3]-المرجع نفسه ،ص217.

[4]-المرجع نفسه ،ص217.

/كراهية) في هذا الخطاب تظهر الذوات الفاعلة (الذات و الذات الضد- و الراسل و الراسل- و المساعد و المعارض – البطل الخير و البطل الشر).يظهر في هذا الخطاب ميرسو ممثلا للمبالاة " تجاه القيم الثقافية و الدلالية، و التي تمنعه من التصرف كذات مسئولة، و ادعائه أنه مرسل لسلطة الاجتماعية يلغيها الخطاب الإيديولوجي "[5].تظهر لامبالاته عند دفنه أمه ؛ فهو لم يظهر أي انفعال .كما تظهر هذه الامبالاة عند قتله للعربي بمنتهى البرود ، و بوعيه التام . و كامو إذ جعل بطله على هذه الشاكلة فإنه يؤكد على القص الرسمي، و ينطلق من التعارضات الدلالية للهجة الجماعية – المسيحية .

الملاحظ أن خطاب المحامي يحدد معنى كلمات ميرسو ،و كأنه أدرك أن ميرسو يعترف بالدلالة الرسمية للعدالة " و يظهر البطل في خطاب العدالة كذات ضد مسؤولة عن برنامج سردي سلبي " [6].

تصبح الوحدات المعجمية عدالة ،حب ،شرف مشكوكا فيها. و تصبح التعارضات الدلالية (خير /شر) (حب /كراهية)اعتباطية و عارضة ." وسط هذه اللامبالاة اللغوية ، و العاطفية و الإيديولوجية على حد سواء يفقد خطاب المحامي العام مصداقيته ، و في سياق اللامبالاة يكتشف القارئ نفاقه و صفته التبريرية "يصبح للعدالة خطاب خاص بها مثل خطاب الماركسية يخدم مصالح جماعية اجتماعية معينة ، لا هي المسئولة عن إدانة ميرسو، و هي المسئولة عن هذه اللامبالاة يقول النائب العام عن ميرسو انه (دون روح و قلبه خال).إن اللامبالاة (فراغ القلب) تهدد نظام قيم مجتمع السوق ، لذلك أدين ميرسو من قبل هذه الإيديولوجيا (إيديولوجية العدالة النائب التي لم تسامحه).

ب- ازدواج دلالي و لامبالاة :

3-المرجع نفسه ،ص218.

[6]-المرجع نفسه ،2019.

تظهر كلمة حب في الرواية، و كأنها أفرغت من محتواها الدلالي " لقد كفت عن أن تعني شيئا مثلها مثل كلمة المكملة لها كراهية ". ميرسو يقتل العربي دون أن يكرهه .و يقول أن جريمته كانت بسب الشمس. علاقته مع ماري " و بعد لحظة سألتني إن كنت أحبها أجبتها بأن هذا لا يعني شيئا و لكن يبدو لي أن لا ". علاقته بريمون، فالصداقة تجريد خال من المعنى " إنه سيان أن أكون رفيقه و أنه كان فعلا يبدو راغبا في ذلك ".لماذا لم يبك عند موت أمه إن ذلك كله هو " نتاج تطور اجتماعي و ثقافي و لغوي طويل أدى إلى وضع يتسم بإفراغ الكلمات،و القيم الانفعال و المؤسسات المقابلة لها من معانيها "[7].هذا كله نتيجة قوانين قيم السوق و الإيديولوجيات التي سادت في المجتمع الأوروبي في القرن العشرين حيث " تختزل التعارضات ، و يرتبط السامي بالوفي ، الجاد بالهزلي ، التراجيدي بالكوميدي "[8].

تعبر لامبالاة ميرسو بالازدواج الكرنفالي، و توضحه صفات ميرسو، فهو لا يمثل لا الخير و لاشر، إنه يختلف عن المجرم التقليدي الذي يعترف بخطيئته ، إنه ضد المسيح لأنه رافض قواعد الشفرة. اللامبالاة هي الظاهرة العامة للرواية، و الفرق بين ميرسو و بقية الشخصيات ، هو أنه يعي لامبالاته؛ بمعنى يحمل موضوعية جديدة نابعة من أزمة القيم و اللغة .

ج-لامبالاة و بنى سردية:

كيف يظهر تفكيك القاعدة الدلالية للتصنيف و الشفرة على مستوى البنية الفوقية السردية ؟

الوحدات التصنيفية حب ،عدالة كراهية، إخلاص ،خيانة .ميرسو لا يعترف بأية قيمة ثقافية ، و بالتالي فإن خطابه لم يتأسس على نظير دلالي للوحدات التصنيفية التي يقرها الخطاب السائد لذلك لم يختر البطل برنامج سردي واضح وصف بالاذات، تصبح لامبالاته مقولة سردية كإمكانية لتبادل البرامج السردية. إن وجود الذات ميرسو لا بد أن يستدعي ذات أخرى ، هي المرسل ، و هو

---

[7]- **المرجع نفسه ، ص221.**

[8]-**المرج نفسه ، ص222.**

في الغريب الطبيعة، الشمس و الماء .فالأولى ترمز للموت .و الثانية ترمز للحياة؛ بمعنى هنا تشيىء البنية السردية ؛ فيميرسو يتصرف باسم الطبيعة لا باسم الثقافة " و الموت و الحياة تشكل كلا مزدوجا و مختلف في نهاية الأمر عن وجهة نظر نظام القيم الاجتماعي "[9].

تظهر الطبيعة في رواية الغريب و كأنها تصوير أسطوري لقيمة التبادل، لذلك يمكن الانطلاق من ثنائية (طبيعة– ثقافة) لتعليل الصراع الإيديولوجي في هذه الرواية ، و لمعارضة القص التقليدي " الذي يسعى إلى فرض معنى لتطور الإنسانية و للقص الإيديولوجي عموما الذي يصور نفسه على أنه طبيعي و مطابق للواقع "[10].

انطلاقا من هذا التحليل فإن كامو رفض الماركسية ، لأنها تخضع الإنسان لقوانين خارجية للغائية التاريخية .إن الماركسية مثل خطاب النائب العام ذاتية و غائية تسعى إلى فرض ذاتية ما، برنامج سردي، و غائية على فرد لا يعرف إلا لامبالاة .و هدف الطبيعة .انه ينتقد الإنسانية المسيحية ،و يتغنى بالطبيعة و بالحياة ، و هو يتقاطع مع نيتشه ، ففكر الاثنين يتجه إلى العالم، و أن الحياة هي القيمة العليا بالنسبة إليهما.

---

[9]-المرجع نفسه ،ص229.

[10]-المرجع نفسه ،ص234.